منصة العدالة الاجتماعية
Social Justice Platform

العنف المدرسي

من وجـــهة نظر الطـلاب

العنف المدرسي

من وجهة نظر الطلاب

العنف المدرسي

من وجهة نظر الطلاب

منصة العدالة الاجتماعية
Social Justice Platform

creative commons

الحقوق محفوظة للمنصة للعدالة الاجتماعية

بموجب رخصة المشاع الإبداعي : نسب المصنف -

غير تجاري - منع الاشتقاق | الإصدارة 4.0

www.sjplatform.org

المقدمة:

تعتبر ظاهرة العنف المدرسي واحدة من أكبر المشاكل التي تواجه العملية التعليمية والمجتمع بشكل عام، ولا تعد ممارسة السلوكيات العنيفة في المدارس بمعزل عن أشكال العنف في المجتمع، ولكن من نتائجها وإفرازاتها. ويعتبر أي شخص من كافة أفراد المجتمع المدرسي ممارسًا للعنف إذا صدر عنه سلوك عنيف، سواء كان العنف من الطلاب ضد بعضهم بعض، أو من المدرس أو ضده. وتمثل المدرسة ثاني أكبر مؤسسة اجتماعية وتربوية بعد الأسرة، حيث يقضي فيها الطلاب والمدرسين أغلب وقتهم، وتساعد في تشكيل وعي الطلاب وتكوينهم الشخصي والاجتماعي والنفسي.

ويفترض أن تكون البيئة المدرسية آمنة لعناصر العملية التعليمية من طلاب وإدارة مدرسية ومدرسين وأولياء أمور . وأن تكون بيئة مساعدة على التنشئة الاجتماعية السليمة في المجتمع، وتأهيل أفراده لتطوير ذواتهم وتنمية وتقدم المجتمع. وأن تكون طاردة لكل أشكال العنف من الضرب والتنمر والحط من شأن الآخر أو التهكم عليه. ومن المهم تدريب الطلاب على كيفية احترام الآخرين والدفاع عن أنفسهم دون الدخول في دائرة دائرة العنف المغلقة.

وينتشر العنف بجميع مستوياته، في كل المراحل الدراسية بمختلف القرى والمحافظات، سواء كان ذلك بين الطلاب وبعضهم بعض، أو ضد الطلاب من قبل غيرهم. ولكن من المعروف أن الضرر الأكبر من ممارسة السلوكيات العنيفة يقع على الطالب، حيث يمثل الحلقة الأضعف في العملية التعليمية، سواء كان العنف من المدرس، أو الإدارة، أو من زملاء الدراسة أنفسهم. ولم تمنع وزارة التربية والتعليم العنف في المدارس المصرية، إلا في نهاية القرن العشرين، عندما صدر في عهد حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم الأسبق، قرارًا وزاريًا عام 1998 بمنع العنف واستخدام الإيذاء البدني مع الطلاب في المدارس ، ووجوب اكتفاء المدرس باستخدام الأساليب التربوية التي تعمل على تقويم سلوك الطالب.[1] وفي عام 2014 ، صدرت لائحة جديدة، ثم تبعتها تعديلات جديدة أخرى في لائحة 2016، كانت أكثر شمولًا وتنظيمًا في حظر استخدام العنف في المدارس، وتنظيم العلاقات بين الطلاب وبعضهم بعض، وبين الطالب والمدرس في حالة صدور سلوكًا عنيفًا عن أي منهم.

وترتبط ظاهرة العنف المدرسي بمشكلات كثيرة ومعقدة، وتتدخل فيها أطراف متعددة أيضًا. فلا يكتسب الطالب السلوك العنيف من المدرسة فقط، بل قد يجلبه إليها من خارجها، حيث تعد حينها بيئة خام صالحة لمحاكاة الكثير من السلوكيات العنيفة. وبالتالي من المهم الوقوف على كيفية تعلم الطالب للسلوكيات العنيفة، أو تعرفه عليها. وتساهم عوامل كثيرة في ظاهرة العنف المدرسي مثل، مشكلات التربية، وفلسفة التعلم، والتنشئة الاجتماعية الخاطئه من الأسرة، وأساليب العنف التي يتبعها الأفراد عامة في حل مشاكلهم، بدايةً من الوالدين، إلى الأقران والمحيطين في الشارع أو المجتمع الأوسع ، والتي يشاهدها الطلاب وتسجل في ذاكرتهم باعتبارها وسائل لفرض الذات وحمايتها، أو حل المشاكل.

ونستنتج أن استخدام العنف يولد العنف، ولا يمكن أن يكون وسيلة لتعديل أو تحسين سلوكيات الطلاب، بل يساهم في مفاقمة المشكلة وليست حلها، خاصةً وأن استخدام المدرس لوسائل عقاب عنيفة، يؤدي إلى انتقالها للطلاب من خلال حفظهم لها في ذاكرتهم، واسترجاعها عندما تتاح لهم فرصة محاكاتها في مواقف اجتماعية أخرى.

ويحاول البحث رؤية ظاهرة العنف المدرسي من منظور الطلاب، للتعرف على أنواع العنف التي تمارس ضدهم في المدرسة، سواء مارسه المدرسون أو الطلاب، مثل الممارسات البدنية والمعنوية والرمزية والتحرش

[1] قرار وزارة التربية والتعليم، رقم 591، لسنة 1998، تاريخ 1998/12/2، بشأن منع العنف في المدارس. https://bit.ly/2TAFMPg

الجنسي، ومعرفة تأثير ذلك عليهم في حياتهم المدرسية والاجتماعية. ونهدف أيضًا إلى التعرف على رؤيتهم حول وجود وسائلًا أخرى، بخلاف العقاب البدني أو المعنوي، يمكن استخدامها لعقاب الطلاب، أو تعديل سلوكهم عند ارتكابهم أخطاء. وسوف يركز بحث آخر ، سنجريه بعد هذا البحث، على الطرف الثاني في المدرسة، أي دور المدرسين.

هدف البحث:

التعرف على السلوكيات والممارسات التي تمارس ضد الطلاب، والعنف المتبادل في المدرسة. ويركز البحث على المرحلة الإعدادية، وهي المرحلة الدراسية المتوسطة التي يتراوح فيها العمر بين 11 إلى 15 سنة، فيكون الطالب في فترة المراهقة التي تساهم في تكوين المؤثرات النفسية والاجتماعية للفرد.

المنهجية:

أولًا مجموعات المناقشة المكثفة (Focus groups): اعتمد الباحث على مجموعات المناقشة المكثفة، باعتبارها أداة أساسية للبحث، واستخدمها في طرح موضوع البحث الرئيسي في محاولة للوصول إلى فهم عميق، وفتح مجال أكبر للمناقشات حوله، حيث تتيح هذه الأداة فرصة أكبر للشراكة بين المبحوثين الذين يحكون عن خبراتهم وآرائهم الشخصية في حياتهم أو حياتهن اليومية في المدرسة. وعقدت في هذا السياق أربع مجموعات للمناقشة، وضمت المجموعة ما بين خمسة أو ستة أفراد في الجلسة الواحدة، على مدار شهر واحد، في الفصل الدراسي الثاني عام 2019/2018. وتكونت عينة طلاب الصف الثالث الإعدادي من 21 طالبًا وطالبة، بينهم 5 طلاب و5 طالبات من مدارس خاصة. بينما تكونت عينة طلاب الصف الثاني الإعدادي من 11 طالب وطالبة، منهم 6 طلاب و 5 طالبات من مدارس خاصة.

ثانيا البيانات الكمية: بيانات جُمعت من الصحف الإخبارية تغطي العام الدراسي 2019/2018 . وتشمل حالات ووقائع العنف المدرسي التي تمت داخل المجال المدرسي، والمتعلقة بأطراف العملية التعليمية من مدرسين وطلاب وأولياء أمور. واعتمدنا عليها في استكمال البيانات الكيفية لمساعدتنا في فهم الظاهرة.

العنف في المواثيق الدولية والقوانين والقرارات المحلية

تعرف اتفاقية حقوق الطفل العنف في مادة 19 بأنه"... كافة أشكال الضرر أو الإساءة البدنية أو العقلية أوالإهمال أو المعاملة المنطوية على إهمال، أو إساءة المعاملة، أو الاستغلال بما في ذلك الإساءة الجنسية...". [2]

وجاء في قانون الطفل المصري في مادته رقم 96 بند 2: يعد الطفل معرضًا للخطر إذا وجد في حالة تهدد سلامة التنشئة الواجب توفيرها له: إذا كانت ظروف تربيته في الأسرة أو المدرسة أو مؤسسات الرعاية أو غيرها من شأنها أن تعرضه للخطر، أو كان معرضًا للإهمال أو للإساءة أو العنف أو الاستغلال أو التشرد. [3]

وفي عام 1998، صدر أول قرار وزاري[4] بشأن منع العنف في المدارس، ورغم أن القرار لم يمنع أو يحظر كافة أشكال العنف في المدارس، إلا إنه كان الخطوة الأولى في حظر استخدام الضرب البدني للطالب، والاكتفاء بتوجيهه بموجب القانون. وذلك في حين كان الطالب معرضًا للفصل إذا اعتدى على المدرس. وقد ذكرت المادة الأولى: يحظر حظرا مطلقا فى جميع مدارس مراحل التعليم قبل الجامعى، بما فى ذلك مدارس التعليم الخاص، إيذاء الطالب بدنيا بالضرب بأى وجه أو بأية وسيلة، ويقتصر توجيه الطلاب ومتابعة أدائهم ونشاطهم، على استخدام الأساليب التربوية التي تكفل تكوين الطالب وإعداده وتزويده بالقدر المناسب من القيم.

ورغم وجود هذا القرار ظل العنف المدرسي منتشرًا ، وذلك بسبب غياب برامج وانشطة التوعية في المؤسسة التعليمية، حول خطورة العقاب بجميع أشكاله، ولعدم فتح نقاش مجتمعي يضم كافة أطراف العملية التعليمية لنبذ فكرة العقاب واستخدام أساليب تربوية تساعد على تطوير سلوك الطالب. وفي عام 2014 صدر القرار الوزاري بشأن "حفظ النظام والانضباط داخل المدارس"[5]، ويعد استكمالا للقرار السابق بشأن منع العنف، حيث إنه أكثر شمولا لتنظيم العملية التعليمية بين عناصر المدرسة. وتوسع القرار أيضًا في تعريف العنف المدرسي ليشمل العنف البدني والمعنوي "يحظر حظرًا مطلقًا توقيع أية عقوبة بدنية على الطلاب أو توجية عبارات نابية أو خادشة للحياء أو الآداب العامة إليهم، أو تعرضهم لأي شكل من أشكال الإساءة وفقًا لسياسة الحماية المدرسية". وهذا إلى جانب إضافة تعديلات على لائحة 2015 و2016، حددت بدرجة أكبر من الوضوح علاقة المدرس بالطالب ، وواجبات وحقوق كل من الطالب والمدرس في المدرسة، ووضعت قائمة بأنواع المخالفات المدرسية وطرق علاجها.

[2] اتفاقية حقوق الطفل، مادة 19، فقرة 1، ص8، https://www.unicef.org/arabic/crc/files/crc_arabic.pdf
[3] قانون الطفل المصري رقم 12 لسنة 1996 والمعدل بالقانون 126 لسنة 2008، الباب الثامن، مادة 96 فقرة 2، https://bit.ly/2PERlVf
[4] قرار وزير التربية و التعليم رقم 519 لسنة 1998، بشأن منع العنف في المدارس. . https://bit.ly/2TAFMPg
[5] وزارة التربية والتعليم،قرار وزاري رقم (234)، بشأن حفظ النظام والانضباط داخل المدارس، بتاريخ 2014/5/20.

الإطار النظري:

- العنف المدرسي وأنواعه

يعرف العنف المدرسي على أنه مجموعة السلوكيات الصادرة عن فرد لإلحاق الاذى بالأخرين أو بالذات، بما يسبب ضررًا ماديًا أو معنويًا أو رمزيًا للأخر، وتتضمن هذه الممارسات الضرب، والشجار بين الطلاب، والحط من شأن الآخرين، وسبابهم والسخرية منهم والتنمر عليهم، أو استخدام سلطة رمزية لإجبار الآخرين على فعل شئ. وقد عرفت إحدى الدراسات العنف المدرسي بأنه "مجموعة السلوكيات غير المقبولة اجتماعيًا التي تؤثر على النظام العام للمدرسة، وتؤدي إلى نتائج سلبية بخصوص التحصيل الدراسي، والعلاقات مع الاخرين، وتحدث أضرارًا مادية أو معنوية، وتمارس بشكل لفظي ورمزي وجسدي".[6]

- نظرية التعلم الاجتماعي

تحاول نظرية التعلم الاجتماعي البحث عن إجابة رئيسية على السؤال حول كيفية تعلم الفرد لسلوك جديد من موقف اجتماعي[7]. ووضع باندورا تصوره حول ذلك، بأن الفرد يكتسب السلوك بالتعلم و بالملاحظة، حيث أن السلوكيات العنيفة يمكن تعلمها، مثل أي سلوك اجتماعي، من محاكاة الأفراد في المواقف المختلفة، ويتم ذلك من خلال ملاحظة تصرفات أو ردود فعل الأشخاص في سياقات متنوعة من المواقف الاجتماعية. على سبيل المثال عند قيام شخص بتصرف خطأ، لم يراجعه فيه الفرد المسئول (المدرس). ومع استجابات الافراد الاخرين بخصوص هذا الموقف تزداد محاكاة هذه السلوكيات في المرات المقبلة. ويظهر ذلك أيضا في محاكاة الطلاب للمدرسين أو أولياء الأمور أو مجموعة الرفاق. و رأى باندورا أن استجابة الفرد ترجع إلى عدة عوامل على سبيل المثال: أن الفرد يحفظ ردود الفعل على الموقف بشكل رمزي في الذاكرة، ويسترجعها مستقبلا، مع توفر الاستعداد بأن يكون الفرد لديه الحافز عن تقليد للسلوك.[8]

- أهمية المدرسة في التنشئة الاجتماعية

قبل الخوض في تفاصيل وقائع العنف المدرسي، يهمنا الإشارة إلى أهمية المدرسة بوصفها كيانًا تربويًا وتعليميًا، إذ تعد إحدى أهم المؤسسات الاجتماعية والتربوية في المجتمع. ولا يقتصر ما تقدمه المدرسة على دور نقل المعارف والعلوم إلى الطلاب فقط، بل تمثل عملية متكاملة من التعلم والتربية والتنشئة الاجتماعية والثقافية والنفسية في المجتمع، حيث يتعلم الأفراد مع بعضهم، ويؤثرون في بعضهم بعض. وبجانب دور التأهيل العلمي، تقوم المدرسة بتعديل سلوكيات الفرد، من خلال تعزيز ممارسته لسلوكيات معينة، أو كبت سلوكيات مضرة بالفرد والمجتمع. ولا يدخل الأفراد المدرسة كمادة خام، لكنهم يأتون إليها من الأسرة والبيئة التي تشكل نشأتهم الاجتماعية، ويأتي دور المدرسة مكملًا لهذا الدور، حيث تلعب الدور الأكبر في تشكيل وعيهم وإداركم وسلوكياتهم أثناء التعامل مع ظروف الحياة، وتوفر التفاعل الاجتماعي بين أفراد العملية التعليمية يوميا . ولذلك، هناك أهمية لأن تكون المدرسة بيئة آمنة وسليمة لحماية الأفراد وتوفير الاحترام لهم، دون التسبب في تعزيز ما لديهم من ممارسات عنيفة مؤذية للمجتمع المدرسي، أو إكسابهم هذا النوع من الممارسات. وتعمل المدرسة على خلق مجتمعًا يساعد في عملية التعلم والتعليم، بين عناصر العملية التعليمية من مدرسين وطلاب وإداريين وأولياء أمور.

---

[6] واقع العنف المدرسي من وجهة نظر تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي (دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ ثانوية قصر بلقاسم بمدينة المعنية) مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 33/مارس 2018، ص4.

[7] نظريات التعلم، دراسة مقارنة الجزء الثاني، عالم المعرفة، عدد رقم 108، ديسمبر 1986

[8] أ.د. عماد حسين المرشدي، م.م. علي تقي عباس، العنف المدرسي لدى طلبة المرحلة المتوسطة من وجهة نظر مدرسيهم، جامعة بابل/كلية التربية الأساسية، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد 37، شباط 2018م، ص 812.

وقائع العنف في المؤسسات التعليمية

- **العنف البدني**

"....الميس قامت تسألنا على الدراسات، الواد مايجوبش مكناش نعرفها أصلا كانت أول مرة تدينا، فالواد ماجوبش تروح إيه نازله على ايده بالعشر عصيان تخلي ايد الواد تورم..." [9]

يستخدم المدرسون وسائلًا كثيرة للإيذاء البدني ضد الطلاب، باعتبارها نوعًا من العقاب في المدارس، وتتعدد هذه الوسائل ما بين "العصا والخرطوم والخيزرانة" أو أي الة حادة، أو استخدام كف اليد، بغرض إحداث ألم بدني في جسم الطالب. ويقع ذلك لأشياء مختلفة، على سبيل المثال: عدم إجابة الطالب على سؤال، أوالتأخر عن طابور المدرسة، أو تحدثه مع زملائه. وفي نهاية المطاف قد تحدث مضاعفات تتعدى مجرد الألم البدني فقط، فقد يتطور الأمر إلى التسبب في عاهة للطالب، أو وجود كدمات في جسمه، أو إحداث ضرر كبير مثل كسر الأسنان[10]، أو فقدان البصر[11]، وصولا إلى الوقاة. كما يتبع الطلاب ذلك أيضًا في المشاجرات بينهم، أو عند اعتداء بعضهم على واحد منهم،[12] مستخدمين آلات حادة، الأمر الذي قد يسفر عن إحداث ضرر كبير مثل الطعنات [13] أو التسبب في عاهة.

- **العنف المعنوي:**

"....العيال في المدرسة بتقعد تشتم، وبرضو اقعد اتخانق مع ده شوية، يقعدوا يقولوا لي يا فرخة يا دودو يا عجل الذوات، ويقعدوا يشتموا...." [14]

يعد العنف المعنوي كالسباب والسخرية من الآخرين، نمطًا من السلوكيات المؤذية المنتشرة ين الطلاب، ويؤثر على العملية التعليمية برمتها، حيث يخلق بيئة غير آمنة للتعلم والتعليم. ويعتمد الطلاب دائما على استخدامه كسلاح للدفاع عن أنفسهم، أو وسيلة للسخرية و الحط من شأن الآخرين. وتتضمن مثل هذه السلوكيات "التعليق على أجسام الأفراد أو شكلهم أو ملابسهم، أو سبهم". ويسفر ذلك عن تكرار هذه الدائرة المغلقة للعنف، إذ عادة ما يكون هؤلاء الطلاب الممارسون لهذه الأنواع من السلوك، قد تعرضوا لها من قبل، أو قد ينجر طالب إلى إتباع ذلك عندما يكون جزءًا من مجموعة رفاق، سواء لتجنب سخريتهم، أو ليصبح جزءًا منهم فيتجنب الأذى.[15]

- **العنف الرمزي:**

"..... المديرة قالتنا أول يوم، هيروح اللي جاي بزي مخالف.. طرحة مختلفة، بتروح بيتها....."[16]

---

[9] أحد طلاب مجموعة المناقشة المكثفةمن الصف الثاني الإعدادي.

[10] محمود شاكر، استبعاد مدير مدرسة لتعديه على طفل بمطوبس في كفر الشيخ، اليوم السابع، 2019/2/12، https://bit.ly/2X9K41r

[11] خالد أحمد، محافظ أسيوط يطمئن على طالبة اعتدى عليها معلم بالضرب، بوابة أخبار اليوم، 2018/10/7 https://bit.ly/33NV4UE

[12] ناصر جودة وجمال أبو الفضل، حوادث المدارس عرض مستمر.. تلميذان في الصف الثالث الابتدائي بالحيرة يعتديان على زميلهما ويتسببان في استئصال جزء من الطحال.....، اليوم السابع، 2018/10/30، . https://bit.ly/37e4UAF

[13] رامي محمود، طالب يطعن زميله ب"مطواة" داخل مدرسة في الدقهلية، مصراوي، 2018/10/11، .https://bit.ly/2sXki5B

[14] أحد الطلاب في مجموعة المناقشة المكثفةمن الصف الثاني الإعدادي.

[15] يونيسف مصر، ما هي الأسباب الشائعة للتنمر؟ https://uni.cf/373Jrej

[16] إحدى الطالبات في مجموعة المناقشة المكثفة من الصف الثالث الإعدادي.

في كثير من الأحيان لا يأخذ العنف صورًا مادية كالضرب، أو معنوية كالسباب فقط، بل قد يظهر في صور رمزية مثل استخدام فرد من إدارة المدرسة سلطته على الطالب لفرض فعل شيء معين عليه[17]، أو اجباره على اتباع شكل معين ومحدد للنظام المدرسي قد لا تسمح ظروفه بتوفيره، ولا يعتبر عدم اتباعه مخالفة للنظام المدرسي، ولا يمثل إعاقة للعملية التعليمية. وقد يؤدي ذلك في بعض الحالات إلى وقوع شجار بين المدرسين والطلاب، وخاصةً إذ جرى الجدل حول مثل هذا مع طالب في مرحلة عمرية متقدمة - الثانوية بشكل خاص - فيحدث شد وجذب بين الطرفين ويقع الضرر إما على الطالب، أو على المدرس نفسه في بعض الحالات، إذا استخدام الطالب العنف ضده.[18]

وكذلك يحدث هذا النوع من السلوك بين الطلاب في إطار مساحات الصداقة أوالزمالة، حيث يمارس كثيرًا من العنف الرمزي، ويتخذ أشكال "المزاح أو السخرية"، أو استغلال مساحة الصداقةلاجبار الفرد على أفعال معينة أو تقديم تنازلات. وربما يمارس الطلاب هذا السلوك ضد بعضهم بعض دون إدراك أو معرفة بالضغط النفسي والبدني الذي قد يقع عليهم أو على أصدقائهم جراءه.

- **التحرش الجنسي:**

"".....مستر... ممكن يحط ايده على بنت وحصل الموضوع ده ومشكلة كبيرة في المدرسة بسبب إن هو حط ايده على ضهر بنت....."

على الرغم من كافة الأنواع والأشكال التي عرضناها سابقًا من العنف الموجه ضد الطلاب (ويتمثل غالبا في توقيع عقاب عليهم) إلا أن هناك ممارسات تأخذ الطابع الجنسي. تمارس ضد الطلاب (غالبا طالبات). ويحدث هذا عندما يستغل المدرس عمله أو طبيعة العلاقة بينه وبين الطلاب في ممارسة انتهاكات على الطالبات بطرق مختلفة، قد تتخذ شكل لمس اجزاء من جسد طالبة، أو عرض مشاهد اباحية على هاتفه الخلوي أمام طالبات، أو استخدام كلمات ذاته دلالة جنسية[19]. ومن جهة أخرى تتعرض الطالبات للمضايقات والمعاكسات من مجموعات الشباب الذين يترصدونهن أمام المدارس للتحرش بهن[20]، الظاهرة التي تشتكي منها الطالبات عادة.

[17] مي عناني، شكوى من إجبار مسئولي مدرسة أبو الشقوق الطلاب على جمع القمامة بالشرقية، اليوم السابع، 2019/2/21، https://bit.ly/356sKwV

[18] ايمان عمار، طالب يصفع مدرسا على وجهة في أسيوط، بوابة فيتو، 2018/10/16، " https://bit.ly/2SAjqP9،صفع طالب بمدرسة ساحل سليم الثانوية الصناعية في أسيوط، معلما على وجهه بسبب مشادة بينهما على الالتزام بالزى المدرسي خلال الحصة".

[19] عاطف فاروق، إيقاف مدرس إبتدائي ومنعه من التدريس لتحرشه بالتلميذات، بوابة فيتو، 2018/9/19 https://bit.ly/2DdeUNg

[20] إبراهيم الهوارى، ضبط 21 شابًا قاموا بمعاكسة الفتيات أمام المدارس بشبرا الخيمة، صدى البلد، 2018/10/1، https://bit.ly/2QQhHnI

الآثار الجانبية للعنف المدرسي

- جماعة الرفاق:

"..العيال بتضرب بعض.. مثلا إيه لو حصل موقف في المدرسة واتنين شدوا مع بعض تلاقي المدرسة كلها بتدب في الاتنين دولا، تلاقي اللي رايح واللي جاي كل بيدب في بعضه..."[21]

يحتاج الطالب في المدرسة إلى تواصل وتفاعل اجتماعي، ولذلك ينضم إلى مجموعات "الأصدقاء" أو الرفاق، وهذه أول المجموعات الاجتماعية التي يعتمد عليها الفرد في المدرسة وتساعده على المشاركة في إقامة علاقات اجتماعية تقوم على الاحتواء والتفاعل. ومن خلال هذه المجموعات، يتفاعل الطلاب مع بعضهم، وتتنقل السلوكيات والمعارف وطرق التعامل مع المجتمع. ولكنها قد تكسب الفرد سلوكيات أخرى عنيفة أيضًا، بسبب رغبته في تجنب العزلة والتهميش من المجموعة، أو خشيته التعرض لأي نوع من العنف أو العدوان، سواء من هذه المجموعة أو مجموعات مماثلة. و لا يقتصر الأمر على تعرضه للتنمر أو لمشاجرات جماعية أو فردية فقط، وانما قد يصل أحيانًا كثيرة حد حمل الطلاب لآلات حادة، واستخدمها في المشاجرات أو في تخويف الآخرين، وقد يتسبب هذا آخر الأمر في إحداث عاهة تضر بأحد الطلاب وتترك آثارًا نفسية ومادية عليه.

"(تذهب والدته إلى غرفة نومه لتوقظه :" أحمد يلا قوم علشان تروح مدرستك".. يخبرها: "مش هروح المدرسة مش هقدر ارفع وشي قدام صحابى.. أنا خلاص وشى باظ يا ماما.. بلبس كاب علشان محدش يشوف الجرح اللى فى وشى".. حوار يدور يوميا بين "أحمد" طالب الإعدادية المتفوق والأول على مدرسته، ووالدته المكلومة والحزينة بسبب ما تعرض له ابنها من تلميذين فى الصف الاول الإعدادى في المدرسة نفسها، بعد شل أحدهما لحركته، وضرب الآخر له فى وجه بآلة حادة "كاتر" مما تسبب فى شق خده الأيمن إلى نصفين)".[22]

وهكذا، يجدر إدراك أهمية مجموعات الرفاق داخل المدرسة، وتأهيل مناخ يسوده السلام والعمل الجماعي، وخلق أنشطة جماعية، سواء رياضية أو ثقافية أو فنية، للتخفيف من حدة العنف داخل المجتمع المدرسي، وتحويل طاقة هؤلاء الطلاب إلى ما يفيدهم ويتعلمون منه، خاصة أن التنمر والسلوكيات العنيفة منتشرة بين الطلاب، ويكتسبونها من بعضهم بعض، أو من تعامل المدرسين مع الطلاب، أو من البيئة المحيطة بالطالب أو الأسرة، فكلها بيئات خصبة لتعلم الأفراد أو اكتسابهم للسلوكيات، وعادةً ما تكون المدرسة بيئة مؤهلة.

[21] أحد طلاب مجموعة المناقشة المكثفة من الصف الثالث الإعدادي.

[22] محمود شاكر، حدثان يتعديان على طفل بمدرسة أبو رواش بكرداسة ويتسببا في شق وجهة لنصفين، اليوم السابع، 2018/12/7.
https://bit.ly/36O1ggo

- التأقلم مع العنف

"...أنا أتضرب، لو حد خايف علي مصلحتي.. هيضربني عشان أخاف أكتر على مصلحتي وأشوف مذاكرتي.."[23]

إذا كيف يسبب العقاب بكافة أشكاله ألماً للطلاب، بينما يتقبله بعضهم؟ عبر بعض الطلاب عن ذلك، حيث قالوا أن العقاب ينزل عليهم لجعلهم يذاكرون ويؤدون واجباتهم المدرسية، أي "لمصلحتي"، ومن هنا يترسخ لديهم أن العقاب هو الوسيلة الوحيدة لتحسين مستواهم المدرسي، أو تعديل سلوكهم، وقد تكون هذه ايضا قناعة المدرس. اذا يرسخ لدى الطلاب أن التغيير والتعلم لا يأتي إلا عبر العنف، لا عبر الحوار والتفاهم كوسيلة تربوية أفضل بدون التسبب في ألم. وعلى عكس ذلك، عبر جانب أخر من الطلاب عن أن عقابهم بشكل بدني أو معنوي لا يجعلهم يؤدون الواجب المدرسي. على سبل المثال، ذكر طالب "..طب أنت ضربتني عشان مذاكرتش طب أنا مش مذاكر..."[24]. وجاءت نتيجة العقاب بشكل عكسي، فبجانب التسبب في اضرار بدنية ونفسية، أصبح الطالب كارهًا للمدرسة والتعليم بشكل عام.

- تبادل أدوار العنف

"....أنا المستر شتمني بأمي وحدفني بالعصاه، روحت أنا كمان حدفته بالعصاه..."[25]

لا تتوقف ممارسة سلوكيات العنف عند المدرسة أو إدارتها فقط، بل يكتسبها الطالب في التعامل مع المواقف اليومية لحياته، سواء في الشارع أو البيت أو المدرسة (وبالطبع لا يتعلمها من المدرسة فقط، بل على العكس ربما يجلبها من محيطه الاجتماعي إلى المدرسة). إذا، لا يكون استخدام العنف بين الطلاب وبعضهم، أو بين من في مستواهم في السن، أو من ليست لديه سلطة رمزية فقط، بل قد يكون ضد المدرس، وربما جاء رد فعل الطالب على سلوك ضده باستخدم السلوك نفسه ضد المدرس. ويمكن الإشارة إلى انتشار مثل هذه الحالات في تغطية الصحف على مدار السنة الدراسية. وعلى سبيل المثال، " فصل طالب صفع مدرسته على وجهها بعد أن عنفته".[26] إذا يجدر بنا إدراك أن السلوكيات يكتسبها الجميع، ويحتفظ بها الطالب في عقله بصور رمزية ليستخدمها فيما بعد. وأن عدم تعليم الطلاب أساليب صحية وسليمة للتعامل مع مواقف الحياة الاجتماعية واليومية، يغلق دائرة العنف هذه ويديمها، ويقنع الطلاب بأن الحل الوحيد يتمثل في السلوكيات العنيفة، سواء في الدفاع عن أنفسهم أو أخذ حقهم.

- التحصيل الدراسي:

". يعني مادة الإنجليزي دي كان المدرس ... عمال يزعق ويشتم فيي ويضربني..... وبسببه اقسم بالله أنا لغاية دلوقت بكره المادة دي..." [27]

تكثر العوامل المؤثرة على ضعف الأداء الدراسي لدى الطلاب، ومنها على سبيل المثال: عدم الثقة بالنفس، والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية للأسرة، وفترة المراهقة، الفترة المهمة في حياة الطالب التي يطرأ عليه فيها تغيرات

---

[23] أحد طلاب مجموعة المناقشة المكثفةمن الصف الثاني الإعدادي.
[24] احدى طالبات مجموعة المناقشة المكثفةمن الصف الثالث الإعدادي.
[25] أحد طلاب مجموعة المناقشة المكثفةمن الصف الثالث الإعدادي.
[26] زينب الزغبي، فصل طالب إعدادي نهائيًا بدمياط صقع معلمة على وجهها، صدى البلد، 2018/9/23، https://bit.ly/2RGUa97
[27] احدى طالبات مجموعة المناقشة المكثفةمن الصف الثالث الإعدادي.

اجتماعية وثقافية ونفسية كثيرة.[28] وإلى جانب كل ذلك، يوجد عنصر العقاب البدني والمعنوي، حيث يرتبط تعنيف الطالب بتحصيله الدراسي، ويعد عاملًا مهمًا في نفور الطلاب من المواد الدراسية، الأمر الذي قد يلازمه طيلة حياته. وفوق هذا، ربما يرى المدرس أن عقابه جعل الطالب يؤدي فروضه المدرسية بشكل جيد، ولكنه لن يرى أنه زرع مشاعر الخوف دخل نفسة وأسفر عن كراهيته للمادة أو سبب له عقدة نفسية منها، فأصبح أداءه فيها مجرد محاولة للانتهاء من الواجب عليه دون فهم، حتى يتجنب العقاب.

" بضطر اعمله الواجب غصب عني، ممكن أجي اعمله انقله من حد لكن معملوش بمجهودي عشان أنا خايف منه بس".[29]

وقد يؤدي ذلك في النهاية للنفور أو التسرب من المدرسة بشكل عام. وجميع هذه العوامل من المفترض أن تحتويها البيئة المدرسية، وأن يكون لديها خبرة التعامل معها، وتحسين عوامل الضعف الدراسي عند الطالب من خلال تطبيق البرامج التربوية والأنشطة التعليمية، لفهم ضعف الطلاب بدلًا من اللجوء إلى عقابهم.

هل من حلول أخرى؟

- التفاهم:

"اللي هو ينصحني..."[30] "... الضرب ده مش حاجة كويسة ولا أي حاجة..."[31]

إذًا، لا يمثل الضرب والإحراج والتجريح والسباب وسائلًا جيدة تؤدي إلى نتائج ايجابية كما يخيل لكثير من المدرسين، أو حتى الطلاب الذين اعتادوا على ذلك. بل إنها أساليب تربوية قديمة، كان يعتقد في تحسينها للسلوك ومساعدتها للتعلم، ولكنها ثبت فشلها بشكل متكرر. وتزرع الوسائل العنيفة في الطلاب مشاعر الخوف والقلق، وتسفر عن علاقات قائمة على الكراهية في المؤسسات التعليمية، و كراهية الطلاب لذاتهم بسبب ذهابهم إلى المدرسة يوميا. كما لا تؤسس تلك الوسائل بنية عقلية وجسمانية سليمة لدى الطلاب والطالبات. وعلى الرغم من ذلك، فحتى هؤلاء الطلاب الذين رأوا أحيانًا أن تعنيفهم ليس بقصد الإيذاء، وإنما لمصلحتهم (أو أنه أمر طبيعي)، فقد فضلوا في النهاية وسائلًا اخرى للتعليم وتحسين مستواهم الدراسي غير إيذائهم بدنيًا أو معنويًا، مثل التحدث معهم، أو إقامة الحوارات لفهمهم، وفتح الطرق للمناقشة. وسواء أخفق الطلاب في الدراسة، أو صدر منهم سلوك غير مرغوبًا، تعلموه من المدرسة أو أي بيئة أخرى، فيجب أن يكون للمدرسة دورًا في تعديل ذلك، دون تعنيف الطلاب والدخول بهم في دائرة مغلقة.

[28] م.د. منتهى مطشر عبد الصاحب، العنف المدرسي وعلاقته بالفشل الدراسي والتسرب المدرسي لدى طلبة المرحلة المتوسطة، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد الثامن والعشرون.
[29] أحد طلاب مجموعة المناقشة المكثفةمن الصف الثاني الإعدادي.
[30] أحد طلاب مجموعة المناقشة المكثفةمن الصف الثاني الإعدادي.
[31] احدى طالبات مجموعة المناقشة المكثفةمن الصف الثالث الإعدادي.

الخاتمة:

من المهم إدراك أن منع سلوكيات التعنيف، عملية تحتاج إلى كثير من العمل داخل المجتمع بشكل عام، ومجتمع المدرسة بشكل خاص. ويظهر ذلك في المدرسة باعتبارها مرآة لما يحدث في المجتمع الأوسع، ولذلك تتوفر في المدارس مساحة يمكن من خلالها خلق بيئة آمنة للجميع، وتأهيل أعضائها لتقليل حدة العنف بين الجميع. ويعد وجود لائحة تنظم العلاقة بين كافة أعضاء المدرسة في حالة التعدي على النظام، خطوة أولى مهمة في السياق القانوني، وضمانًا لحقوق الجميع. ومن ثم يأتي بعد ذلك، أهمية وجود فلسفة للتعلم وعمل برامج توعية حول أخطار ومشاكل العنف التي تترك آثارًا سلبية على الطالب والمدرس، وتضر الجميع.

وفي النهاية، إضافةً إلى ذلك، من المفيد توفير أنشطة ثقافية واجتماعية في المدارس لامتصاص طاقة الطلاب، وتحويلها لأشياء ابداعية، بدلًا من زيادة حالة الفراغ أو الملل، وسكب المحتوى الدراسي عليهم طوال اليوم. ويساعد ذلك في ترسيخ فكرة أن العقاب بكافة اشكاله ليس أسلوبًا للتعليم أو تحسين سلوك الأفراد، بل على العكس، ينفر الطلاب من التعليم ويعزز لديهم استخدام الطرق العنيفة في حل مشاكلهم. ومن المهم أن ينبع هذا الدور من المدرس، العنصر الأهم في العملية التعليمية، لنخرج من هذه الدائرة المغلقة للعنف المدرسي، ولا نعيد إنتاج السلوكيات العدوانية والعنيفة مرارا وتكرارا.